محور دراسات
العلوم السياسية

حولية المنتدى

مجلة حولية المنتدى Hawlyat Al-Montada

I. S. S. N. Print :1998 - 0841 I. S. S. N. onlie :2958 - 0455 Doi 10.35519 /0828

الريف والمدينة في العراق: تحليل التأثيرات الاجتماعية والسياسية على مدينة بغداد

Rural and urban Iraq: An analysis of the social and political impacts on the city of Baghdad

أ.د. اسعد كاظم شبيب
مركز دراسات جامعة الكوفة

Prof. Dr. Asaad Kadhim Shbeeb
University of Kufa Studies Center
asaadk.alabdallah@uokufa.edu.iq

تاريخ الإستلام: 2026/3/30 تاريخ القبول: 2026/4/8 تاريخ النشر: 2026/6/1

Recevied: 30 / 3 / 2026 Accepted: 8 / 4 / 2026 Published: 1 / 6 / 2026

الملخص

يتناول هذا البحث العلاقة التفاعلية بين الريف والمدينة في العاصمة مدينة بغداد كمدينة ذات على أهمية على المستويات البشرية والاجتماعية والحضارية ، وبوصفها المركز السياسي والثقافي والاقتصادي الأهم في العراق، ويركز البحث على تحليل التأثيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي أحدثتها موجات الهجرة الريفية إلى بغداد عبر مراحل تاريخية مختلفة، ولا سيما منذ منتصف القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر، وكيف أسهمت هذه التحولات في إعادة تشكيل البنية الاجتماعية والثقافية للمدينة كدراسة علمية تحليلية ضمن نطاق علم الاجتماع السياسي.

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الهجرة من الريف إلى بغداد لم تكن مجرد انتقال سكاني، بل

مثلت عملية انتقال ثقافي واجتماعي عميقة، أدت إلى تداخل القيم الريفية مع أنماط الحياة الحضرية، الأمر الذي أسهم في نشوء أنماط ثقافية واجتماعية هجينة، وأعاد تشكيل العلاقات الاجتماعية وأنماط السكن والهوية الحضرية داخل المدينة، كما يفترض البحث أن التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدها العراق، إضافة إلى الحروب وضعف التنمية في المناطق الريفية، أسهمت في تسريع وتيرة هذه الهجرات، وهو ما أدى بدوره إلى توسع الأحياء العشوائية وظهور تحديات اجتماعية وخدمية داخل المدن.

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبع التطورات التاريخية للهجرة الريفية إلى بغداد، وتحليل انعكاساتها على البنية الطبقية وأنماط التضامن الاجتماعي والتحولات في القيم والسلوكيات داخل المجتمع الحضري، كما يناقش البحث دور الدولة والسياسات الحضرية في إدارة هذه التحولات، ومدى قدرتها على استيعاب الوافدين الجدد ودمجهم في النسيج الحضري.

ويخلص البحث إلى أن التفاعل بين الريف والمدينة في بغداد أسهم في إنتاج هوية حضرية مركبة تجمع بين القيم التقليدية والحديثة في آن واحد، إلا أن غياب التخطيط الحضري الفاعل وتفاقم الأزمات الاقتصادية والسياسية جعلا هذا التفاعل مصدراً لعدد من التحديات الاجتماعية والثقافية الى جانب ذلك ساهم ذلك الإنتاج في حماية المدينة في مناسبات متعددة من مخاطر اجتماعية وامنية، ويوصي البحث بضرورة تبني سياسات تنموية متوازنة بين الريف والمدينة، وتعزيز برامج الاندماج الحضري بما يسهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي وتحسين نوعية الحياة في المدن العراقية وفي مقدمتها العاصمة بغداد.

الكلمات المفتاحية : الريف / العراق / مدينة بغداد / التفاعل

Abstract

This research examines the interactive relationship between rural and urban areas in Baghdad, a city of significant human, social, and cultural importance, and the most important political, cultural, and economic center in Iraq. The study focuses on analyzing the cultural, social, and political impacts of rural migration waves to Baghdad throughout different historical periods, particularly from the mid-20th century to the present.

It explores how these transformations have contributed to reshaping the city's social and cultural fabric, employing an analytical approach within the field of political sociology.

The research is based on the premise that rural-to-urban migration to Baghdad was not merely a population movement, but rather a profound cultural and social shift. This shift led to the integration of rural values with urban lifestyles, resulting in the emergence of hybrid cultural and social patterns. It also reshaped social relations, housing patterns, and urban identity within the city. Furthermore, the research posits that the political and economic transformations Iraq has witnessed, coupled with wars and underdevelopment in rural areas, have accelerated the pace of these migrations. This, in turn, has led to the expansion of informal settlements and the emergence of social and service-related challenges within the city.

This research employs a descriptive-analytical approach, tracing the historical developments of rural migration to Baghdad and analyzing its impact on class structure, patterns of social solidarity, and shifts in values and behaviors within urban society. The research also examines the role of the state and urban policies in managing these transformations and their capacity to absorb newcomers and integrate them into the urban fabric.

The research concludes that the interaction between rural and urban areas in Baghdad has contributed to the formation of a complex urban identity that blends traditional and modern values. However, the absence of effective urban planning and the exacerbation of economic and political crises have transformed this interaction into a source of numerous social and cultural challenges. Conversely, this interaction has also served to protect the city from social and security threats on several occasions. The research recommends the adoption of balanced development policies between rural and urban areas and the strengthening of urban integration programs to contribute to social stability and improve the quality of life in Iraqi cities, particularly the capital, Baghdad.

Keywords: countryside / Iraq / Baghdad city / interaction

المقدمة

شـهد المجتمـع العراقـي خـلال القـرن العشريــن وبدايــات القــرن الحــادي والعشريــن تحــولات اجتماعيــة واقتصاديــة وسياســية عميقــة أثــرت في بنيتـه الاجتماعيـة وأنمـاط العلاقـات

السائدة فيه، ومن أبرز هذه التحولات تلك المرتبطة بعملية التحضر والتوسع العمراني الذي رافق نشوء الدولة الحديثة وتطور مؤسساتها المختلفة، وما تبع ذلك من انتقال أعداد كبيرة من السكان من المناطق الريفية إلى المدن الكبرى، وقد أدى هذا التحول الديموغرافي إلى نشوء تفاعلات معقدة بين أنماط الحياة الريفية والحضرية، الأمر الذي أفرز ظواهر اجتماعية جديدة من بينها ما يُعرف بظاهرة "ترييف المدن"، وهي الظاهرة التي تتمثل في انتقال القيم والعادات والتقاليد الريفية إلى البيئة الحضرية وتأثيرها في طبيعة الحياة الاجتماعية داخل المدن.

وتُعد مدينة بغداد من أبرز المدن التي تجلت فيها هذه الظاهرة بوضوح، نظراً لمكانتها السياسية والاقتصادية والثقافية بوصفها عاصمة العراق ومركزاً رئيساً للنشاط الإداري والتجاري والتعليمي. فقد شهدت المدينة خلال العقود الماضية توسعاً سكانياً كبيراً نتيجة تدفق موجات متتالية من المهاجرين القادمين من المناطق الريفية المختلفة، بحثاً عن فرص العمل والتعليم وتحسين مستوى المعيشة، وقد أسهم هذا التدفق السكاني في إعادة تشكيل البنية الاجتماعية والثقافية للمدينة، حيث دخلت إلى الفضاء الحضري منظومات قيمية واجتماعية كانت مرتبطة أساساً بالبيئة الريفية.

إن دراسة العلاقة بين الريف والمدينة تمثل أحد الموضوعات المهمة في علم الاجتماع السياسي، لأنها تساعد على فهم طبيعة التحولات التي تمر بها المجتمعات في مراحل الانتقال من الأنماط التقليدية إلى الأنماط الحديثة وفي الحالة العراقية، فإن هذه العلاقة تتسم بدرجة عالية من التعقيد والتداخل، نتيجة التاريخ الاجتماعي الطويل الذي شهد تفاعلاً مستمراً بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري فالمدن العراقية لم تكن منعزلة عن محيطها الريفي، بل كانت على الدوام في حالة تفاعل وتأثير متبادل معه، سواء من خلال الهجرة الداخلية أو من خلال الروابط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تجمع بين سكان الريف والمدينة.

وقد أدى هذا التفاعل المستمر إلى نشوء بنية اجتماعية مركبة داخل المدن، تتداخل فيها القيم الريفية مع أنماط الحياة الحضرية الحديثة. فالكثير من سكان المدن، ولا سيما في

الأحياء الشعبية، ما زالوا يحتفظون ببعض العادات والتقاليد الاجتماعية المرتبطة بالبيئة الريفية، مثل الروابط العائلية القوية، والتضامن الاجتماعي بين أفراد الجماعة، واستمرار تأثير الأعراف الاجتماعية التقليدية في تنظيم العلاقات بين الأفراد. وفي الوقت نفسه، تفرض البيئة الحضرية أنماطاً جديدة من العلاقات الاجتماعية التي تقوم على التخصص الوظيفي والتنظيم المؤسسي، الأمر الذي يخلق حالة من التفاعل المستمر بين القيم التقليدية ومتطلبات الحياة الحديثة.

وتزداد **أهمية** دراسة هذه الظاهرة في مدينة بغداد على وجه الخصوص، لأنها تمثل مركزاً حضرياً كبيراً يضم تنوعاً اجتماعياً وثقافياً واسعاً، كما أنها شهدت تحولات ديموغرافية كبيرة نتيجة التوسع العمراني والهجرات الداخلية، وقد أدى ذلك إلى ظهور أنماط اجتماعية جديدة تعكس تداخلاً واضحاً بين الخصائص الريفية والحضرية، وهو ما يجعل بغداد نموذجاً مهماً لفهم طبيعة العلاقة بين الريف والمدينة في المجتمع العراقي المعاصر.

ومن هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى **دراسة إشكاليات هذه ظاهرة** عبر تحليل بروز السمات الريفية في مدينة بغداد، وتحليل العوامل التي أسهمت في ظهورها وانتشارها داخل البيئة الحضرية، كما يهدف البحث إلى الكشف عن طبيعة التأثيرات الثقافية والاجتماعية التي ساعدت على استمرار هذه الظاهرة، فضلاً عن تحليل مظاهرها المختلفة في الحياة اليومية داخل المدينة، ويأتي هذا الاهتمام في إطار محاولة فهم طبيعة التحولات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع العراقي، وبيان الكيفية التي تتفاعل بها البنى التقليدية مع عمليات التحضر والتحديث، ويكتسب هذا الموضوع أهمية علمية واجتماعية في الوقت نفسه، إذ يسهم في إثراء الدراسات الاجتماعية المتعلقة بعملية التحضر في العراق، كما يساعد على فهم التحديات التي تواجه المدن العراقية في ظل التوسع السكاني والتغيرات الاجتماعية المتسارعة.

فرضية البحث: ان دراسة ظاهرة ترييف المدن لا تعني النظر إليها بوصفها ظاهرة سلبية بالضرورة، بل يمكن فهمها بوصفها جزءاً من عملية التكيف الاجتماعي التي ترافق التحولات الكبرى التي تمر

بهـا المجتمعـات.

تعتمـد هـذه الدراسـة عـلى **منهجيـة علميـة اكاديميـة** ترتكـز عـلى المنهـج التحليـلي لفهـم عنـاصر الظاهـرة وعلاقاتها الاجتماعيـة والثقافيـة داخـل البيئـة الحضريـة، والمنهـج المقـارن لمقارنـة تأثيرات الظاهـرة بـين مختلـف المناطـق والأحيـاء الحضريـة، والمنهـج السوسـيولوجي لدراسـة كيفيـة تفاعـل العوامـل الاجتماعيـة والسياسـية مـع التحـولات الثقافيـة والسـلوكية للسـكان، كـما تُسـتفيد الدراسـة مـن مقاربـات نظريـة مرتبطـة بالتحـضر والهجـرة الريفيـة لتأطـير الظاهـرة ضمـن سـياق التكيـف الاجتماعـي والتحـولات المجتمعيـة الكـبرى، وتهـدف هـذه المناهـج مجتمعـة إلى تقديـم قـراءة شـاملة للظاهـرة مـن النواحـي النظريـة والميدانيـة.

وعليـه، فـإن هـذا البحـث يحـاول تقديـم قـراءة تحليليـة لظاهـرة بـروز السـمات الريفيـة في مدينـة بغـداد، مـن خـلال تنـاول الإطـار النظـري لجدليـة الريـف والمدينـة في الفكـر الاجتماعـي العراقـي، ثـم دراسـة تجليـات هـذه الظاهـرة في العاصمـة، فضـلاً عـن تحليـل التأثـيرات الثقافيـة والاجتماعيـة التـي سـاهمت في بروزهـا واسـتمرارها. ومـن خـلال ذلـك يسـعى البحـث إلى تقديـم فهـم أعمـق لطبيعـة التحـولات الاجتماعيـة في المجتمـع العراقـي، وإبـراز أهميـة دراسـة العلاقـة بـين الريـف والمدينـة بوصفهـا أحـد المفاتيـح الأساسـية لفهـم بنيـة المجتمـع العراقـي المعـاصر، وفي ضـوء مـا تقـدم سنقسـم **هيكليـة هـذه الدراسـة** الى المباحـث الاتيـة:

المبحـث الأول: مدخـل حـول جدليـة الريـف والمدينـة في الفكـر السـياسي الاجتماعـي العراقـي المعـاصر

المبحـث الثـاني: تجليـات الظاهـرة الريفيـة في مدينـة بغـداد

المبحـث الثالـث: التأثـيرات الثقافيـة عـلى بـروز الظاهـرة الريفيـة في مدينة بغـداد

المبحـث الرابـع: التأثـيرات الاجتماعيـة والسياسـية عـلى بـروز الظاهـرة الريفيـة في مدينـة بغـداد

الخاتمة والنتائج

المبحـث الأول: مدخـل حـول جدليـة الريـف والمدينـة في الفكـر الاجتماعـي العراقـي المعـاصر

تُعـدّ جدليـة الريـف والمدينـة مـن الموضوعـات الرئيسـة التـي حظيـت باهتـمام واسـع في الفكـر السـياسي والاجتماعـي العراقـي المعـاصر، لمـا لهـا مـن تأثـير عميـق في فهـم طبيعـة

التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي شهدها المجتمع العراقي خلال القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين إذ ارتبطت هذه الجدلية ارتباطاً وثيقاً بعملية تشكّل الدولة الحديثة في العراق، وبالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى انتقال أعداد كبيرة من السكان من المناطق الريفية إلى المدن، الأمر الذي خلق حالة من التداخل بين القيم الريفية والحضرية في بنية المجتمع العراقي (الوردي، علي(١٩٩٥)، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص ٤٥). لقد كان المجتمع العراقي، تاريخياً، مجتمعاً ذا جذور ريفية وعشائرية واضحة، حيث لعبت العشيرة والزراعة دوراً محورياً في تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ومع قيام الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ وبدء عمليات التحديث الإداري والاقتصادي، بدأت المدن العراقية تتوسع تدريجياً وتستقطب أعداداً متزايدة من سكان الريف، مما أدى إلى نشوء تفاعلات اجتماعية جديدة بين ثقافة الريف وثقافة المدينة (koucher, A. (١٩٩٩). State and society: The question of agrarian change in Iraq ١٩٢١-١٩٩١ Nijmegen) Studies in Development and Cultural Change, Vol. ٢٩)،. وقد اهتم عدد من علماء الاجتماع العراقيين بتحليل هذه الظاهرة، وفي مقدمتهم عالم الاجتماع علي الوردي، الذي تناول الصراع بين قيم البداوة وقيم الحضارة بوصفه أحد المفاتيح الأساسية لفهم طبيعة المجتمع العراقي، ويرى الوردي أن المجتمع العراقي يتميز بازدواجية في الشخصية الاجتماعية نتيجة التفاعل المستمر بين منظومتين قيميّتين مختلفتين؛ الأولى تمثل القيم الريفية والعشائرية التي تقوم على العصبية والتضامن القبلي، والثانية تمثل القيم الحضرية التي تقوم على التنظيم المؤسسي والعلاقات المدنية (الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ١٩٩٥، ص ٨٨).

ويشير الوردي أيضاً إلى أن المدن العراقية، على الرغم من كونها مراكز حضرية، لم تنفصل تماماً عن محيطها الريفي، بل ظلت تتأثر به باستمرار نتيجة موجات الهجرة الداخلية التي نقلت أنماطاً من الثقافة الريفية إلى داخل المدن، وقد أدى ذلك إلى ظهور نمط اجتماعي هجين يجمع بين التقاليد الريفية

ومتطلبات الحياة الحضرية الحديثة (الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ٢٠٠٥، ج١، ص ١١٢). ومن ناحية أخرى، يرى الباحثون في علم الاجتماع أن الريف العراقي لم يكن مجرد فضاء جغرافي أو اقتصادي، بل كان منظومة اجتماعية متكاملة تقوم على شبكة معقدة من العلاقات القرابية والعشائرية، وقد شكّلت هذه العلاقات إطاراً مهماً لتنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية في الريف، حيث كانت العشيرة تمثل وحدة اجتماعية أساسية تحدد مكانة الفرد ودوره داخل المجتمع (الجواد، فاجر صيّد علوان، السلطة العشائرية في العراق المعاصر: دراسة اجتماعية تحليلية، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٢٠). ويشر الباحث متي عقراوي في كتابه(العراق الحديث) الى ان نظام العشائر في العراق الحديث هو نظام ابتدائي بسيط، والشيخ رئيس العشيرة الذي يتولى مركزه وراثة، ولكنه لا بد أن تكون له صفات الزعامة كالشهامة، والنخوة، وغيره ليمكن من المحافظة على مركزه، ولا يُنزع منه أحد إلا بإرادته أو أكثر جدارة منه وإذا كانت العشيرة كبيرة فهي تنقسم عادة إلى أفخاذ يُترأس كلّ منها شيخ هو دون الشيخ الأكبر، وتجمع رابطة الدم أفراد العشيرة الواحدة، وهم يرجعون نسبهم إلى إحدى القبائل حتى إذا ما تزوجت امرأة من قبيلة أخرى تحفظ أولادها نسبهم ويدعو رجال قبيلتها بالخوال، وانتساب الأفراد الذين لا عشيرة لهم أو الفئات الصغيرة الضعيفة إلى عشيرة معروف قوة شائع عند البدو. وقد تعدد عدة عشائر أحيانا تتوغل حقا بينهم، كما فعلت عشائر المنتسب التي خالفت في القرن السادس عشر واصرّ هذا الخلف حتى الآن، وينظر الشيخ في قضايا عشائره وهم يتصورون المدي حسب تقاليد العشيرة وأوامرها غير المكتوبة. وتُحال المنازعات والخصومات العموية إلى اجتهاد العارفة الذين اشتهروا بتراضيهم(عقراوي، متي، (١٩٣٦)، العراق الحديث: تحليل لأحوال العراق ومشاكله السياسية والاقتصادية والصحية والاجتماعية والتربوية، ترجمة مجيد خدوري، بغداد، مطبعة العهد، ص٢٥٢).

ومع توسّع المدن العراقية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ولا سيما في بغداد والبصرة والموصل والنجف، بدأت المدن تستوعب

أعـداداً متزايـدة مـن المهاجريـن القادمـين مـن المناطـق الريفيـة خصوصـا في بغـداد في عهـد الزعيـم عبـد الكريـم قاسـم كجـزء مـن سياسـة انهـاء التهميـش الـذي عـرف بـه بغداد لشرائـح اجتماعيـة في العهـد الملـكي مـن هنـا أنشـئت مـدن كاملـة ومـن ذلـك مدينـة الثـورة في بغـداد كنمـوذج بالإضافـة الى سـيطرة هـذه السياسـة عـلى مـدن أخـرى مـن احيـاء بغـداد، وقـد أدت هـذه الهجـرات إلى تغـيّر البنيـة السـكانية للمـدن، كـما أسـهمت في انتقـال عـدد مـن القيـم والعـادات الريفيـة إلى البيئـة الحضريـة، الأمـر الـذي أدى إلى مـا يصفه بعـض الباحثين بظاهـرة (ترييـف المدينـة)، أي انتقـال أنمـاط الحيـاة الريفيـة إلى داخـل المـدن (عزيـز، المجتمـع العراقـي مـن ٢٠٠٣ إلى ٢٠٢٠: مقاربـة سوسـيولوجية في ضـوء الواقـع السـياسي والاقتصـادي والسـكاني والاجتماعـي، https://jgu.garmian.edu.krd/article_١٤١٠٤٦.html).

وقـد انعكـس هـذا التداخـل بـين الريـف والمدينـة في العديـد مـن المظاهـر الاجتماعيـة، مثـل اسـتمرار حضـور العشـيرة في الحيـاة الاجتماعيـة والسياسـية داخـل المـدن، فضـلاً عـن بقـاء أنمـاط التضامـن التقليـدي والعلاقـات القرابيـة مؤثـرة في تنظيـم العلاقـات الاجتماعيـة حتـى في البيئـات الحضريـة، ويؤكـد إبراهيـم الحيـدري أن هـذه الظاهـرة تمثـل إحـدى سـمات المجتمـع العراقـي، حيـث لم تـؤدِّ عملية التحديـث والتحـضر إلى القضـاء عـلى البنـى التقليديـة، بـل أدت إلى إعـادة تشـكيلها داخـل إطـار اجتماعـي جديـد يجمـع بـين التقليـد والحداثـة (الحيـدري، ابراهيـم، الشـخصية العراقيـة، ٢٠١٧، ، ص ١١٨).

كـما أن التحـولات الاقتصاديـة التـي شـهدها العـراق، ولا سـيما بعـد اكتشـاف النفـط وتزايـد عائداتـه منـذ منتصـف القـرن العشريـن، أسـهمت في تسريـع عمليـة التحـضر وتوسّـع المـدن غـير أن هـذه التحولات لم تكـن متوازنة دائمـاً، إذ ظلـت الفـوارق التنمويـة بـين الريـف والمدينـة قائمـة في العديـد مـن المجـالات، مثـل مسـتوى الخدمـات والبنيـة التحتيـة وفـرص العمـل، الأمـر الـذي دفـع المزيـد مـن سـكان الريـف إلى الهجـرة نحـو المـدن بحثـاً عـن فـرص أفضـل للحيـاة (عبـد الجبـار، فالـح، البنيـة الاجتماعيـة الطبقيـة في العـراق وتحولاتهـا منـذ عـام ٢٠٠٣، منشـورات الثقافـة الجديـدة، ٢٠٢١، ص٣٥).

وفي مرحلـة مـا بعـد عـام ٢٠٠٣،

برزت جدلية الريف والمدينة بصورة أكثر وضوحاً في المجالين الاجتماعي والسياسي، حيث شهدت المدن العراقية حضوراً متزايداً للانتماءات العشائرية والروابط المحلية في الحياة العامة، بالتزامن مع استمرار عمليات التحضر والتوسع العمراني، وقد أدى هذا التداخل إلى ظهور أنماط جديدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية تجمع بين الولاءات التقليدية والمؤسسات الحديثة (داود، قاسم محمد، المجتمع العراقي بين التحضر والبداوة، https://kitabat.com)، ومن الناحية النظرية، يمكن فهم جدلية الريف والمدينة في الفكر الاجتماعي العراقي ضمن إطار التحول الاجتماعي الذي تمر به المجتمعات التقليدية عند انتقالها نحو الحداثة. فعملية التحديث لا تعني بالضرورة اختفاء القيم التقليدية، بل غالباً ما تؤدي إلى إعادة إنتاجها في أشكال جديدة تتكيف مع متطلبات الحياة الحديثة. وفي الحالة العراقية، أدى هذا التفاعل بين القيم الريفية والحضرية إلى نشوء مجتمع ذي بنية مركّبة تتداخل فيها عناصر التقليد والحداثة في آن واحد، وبقدر من ان ظاهرة ترييف المدن هناك من يعدها ظاهرة طبيعية فهناك من يعد ميل الأرياف الى المدن خللاً يصيب الحياة الاجتماعية(العزاوي، عباس، مج٢، بيروت، مكتبة الحضارة، ص١٢).

وعليه، فإن جدلية الريف والمدينة تمثل مدخلاً مهماً لفهم طبيعة المجتمع العراقي المعاصر، إذ تساعد على تفسير العديد من الظواهر الاجتماعية والسياسية، مثل دور العشيرة في المجال العام، وطبيعة العلاقات الاجتماعية داخل المدن، فضلاً عن تأثير الخلفيات الريفية في تشكيل السلوك الاجتماعي والثقافي للأفراد. كما تكشف هذه الجدلية عن طبيعة التوتر القائم بين أنماط الحياة التقليدية ومتطلبات الحداثة، وهو توتر لا يزال يشكل أحد ملامح التحول الاجتماعي في العراق حتى الوقت الحاضر.

المبحث الثاني: تجليات الظاهرة الريفية في مدينة بغداد

تمثل مدينة بغداد نموذجاً مهماً لدراسة ظاهرة التفاعل بين الريف والمدينة في المجتمع العراقي، إذ شهدت العاصمة العراقية خلال القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين تحولات ديموغرافية واجتماعية عميقة

نتيجة موجات الهجرة الواسعة من الريف إلى المدينة، وقد أدت هذه التحولات إلى ظهور ما يُعرف في الأدبيات السوسيولوجية بظاهرة (ترييف المدينة)، أي انتقال أنماط القيم والسلوكيات الريفية إلى البيئة الحضرية، الأمر الذي أسهم في إعادة تشكيل البنية الاجتماعية والثقافية للعاصمة العراقية (الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ٢٠٠٥، ج١، ص ٢١٥).

تاريخياً، كانت بغداد مركزاً حضرياً مهماً في العراق، حيث تميزت ببنية اجتماعية وثقافية متنوعة، واحتضنت أنماطاً مختلفة من النشاط الاقتصادي والثقافي والسياسي. غير أن التوسع العمراني الذي شهدته المدينة منذ منتصف القرن العشرين، ولا سيما بعد اكتشاف النفط وتزايد الموارد الاقتصادية للدولة، أدى إلى تسارع وتيرة التحضر واستقطاب أعداد متزايدة من سكان الريف الذين قصدوا بغداد بحثاً عن فرص العمل والتعليم والخدمات (الحيدري، ابراهيم، الشخصية العراقية، ٢٠١٧، ص ١٦٢).

وقد ساهمت هذه الهجرات الريفية في تغيير التركيبة السكانية للعاصمة بشكل ملحوظ، حيث ظهرت أحياء سكنية جديدة استوعبت المهاجرين من المحافظات الريفية، مثل مدينة الثورة (الصدر حالياً) والشعلة والحرية وغيرها من المناطق التي تشكلت نتيجة توسع المدينة واستيعابها للوافدين الجدد. وقد اتسمت هذه المناطق بخصائص اجتماعية وثقافية تعكس خلفيات سكانها الريفية، الأمر الذي أدى إلى انتقال العديد من القيم والعادات الريفية إلى البيئة الحضرية (المشكور، قاسم، (٢٠١٦)، اسطورة المدن: مدينة الثورة/الصدر حالياً، بغداد، دار ومكتبة عدنان، ص٢٤-٣١). صاحب ذلك سياسات تمييزية فجلبت الى دائرة الضوء مظهراً من مظاهر التحرك باتجاه الاندماج والعمارة والانخراط بأعداد هائلة في السلك الأمني(بطاطو، حنا، (١٩٩٣)، الطبقات الاجتماعية في العراق، ترجمة عفيف الرزاز، ج٢، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ص١٦٣). ومن أبرز تجليات الظاهرة الريفية في مدينة بغداد استمرار حضور الروابط العشائرية داخل الفضاء الحضري فعلى الرغم من أن المدينة تمثل نموذجاً للحياة الحضرية الحديثة التي تقوم على العلاقات المؤسسية والتنظيم الاجتماعي

الرسمي، فإن العديد من سكان بغداد، ولا سيما أولئك القادمين من المناطق الريفية، ما زالوا يحتفظون بروابطهم العشائرية ويعتمدون عليها في حل النزاعات وتنظيم العلاقات الاجتماعية. وقد أدى ذلك إلى بروز دور العشيرة كفاعل اجتماعي مؤثر حتى داخل المدن الكبرى (الحيدري، ابراهيم، الشخصية العراقية، ٢٠١٧، ١٧٥).

كما تتجلى الظاهرة الريفية في بغداد من خلال استمرار بعض أنماط التضامن الاجتماعي التقليدي التي تعود جذورها إلى المجتمع الريفي ففي العديد من الأحياء الشعبية في العاصمة، ما زالت العلاقات الاجتماعية تقوم على مبدأ التكافل والتضامن بين أفراد الحي أو أبناء المنطقة الواحدة، وهي أنماط اجتماعية تشبه إلى حد كبير العلاقات القائمة في المجتمعات الريفية التي تعتمد على الروابط القرابية والجوارية القوية (هاشم، زينب، دراسات في المجتمع العراقي ، ٢٠١٤، ص٤١-٤٤).

ومن المظاهر الأخرى لهذه الظاهرة أيضاً انتقال بعض القيم الريفية المرتبطة بالسلطة الاجتماعية والتراتبية العشائرية إلى البيئة الحضرية. ففي بعض المناطق الحضرية ذات الخلفية الريفية، يمكن ملاحظة استمرار تأثير شيوخ العشائر أو الشخصيات الاجتماعية التقليدية في توجيه السلوك الاجتماعي أو التدخل في حل النزاعات، وهو ما يعكس استمرار تأثير البنية الاجتماعية الريفية داخل المدينة (حاتم راشد علي، التحضر والتحديث في المدينة العراقية: بحث في إشكالية المكان الحضري، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، العدد(٢)، مج(١٦)، ٢٠١٣، ص ٤٤٩-٤٦٢).

وقد تناول عالم الاجتماع العراقي علي الوردي هذه الظاهرة من خلال تحليله لطبيعة المجتمع العراقي، إذ أشار إلى أن المدن العراقية، بما فيها بغداد، لم تتمكن من التخلص بشكل كامل من تأثير البداوة أو الريف، بل ظلت تتأثر بها نتيجة استمرار الهجرة الريفية إلى المدن، ويرى الوردي أن هذا التداخل بين البنية الريفية والحضرية أدى إلى ظهور ما يمكن تسميته بـ»الازدواجية الاجتماعية»، حيث يعيش الفرد بين منظومتين من القيم، إحداهما تقليدية والأخرى حديثة (الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ١٩٩٥، ص ١٣٤).

كـما أن التحـولات السياسـية التـي شـهدها العـراق بعـد عـام ٢٠٠٣ أسـهمت في تعزيـز بعـض مظاهـر الظاهـرة الريفيـة داخـل المـدن، حيـث شـهدت بغـداد عـودة واضحـة لـدور العشـيرة في الحيـاة الاجتماعيـة والسياسـية، سـواء في مجـال حـل النزاعـات أو في تنظيـم العلاقـات الاجتماعيـة داخـل بعـض الأحيـاء. وقـد ارتبـط ذلـك بضعـف مؤسسـات الدولة في بعـض الفـترات، الأمـر الـذي دفـع الأفـراد إلى اللجـوء إلى الأطـر التقليديـة مثـل العشـيرة أو الجماعـة المحليـة بوصفهـا آليـات بديلـة لتحقيـق الأمـن الاجتماعـي (الشـبوط، محمـد عبـد الجبـار، النزعـة العشـائرية في العـراق: جذورهـا وأثرهـا عـلى مـشروع الدولـة الحديثـة، https://annabaa.org/arabic/authorsarticles)، وهـذا يعكـس تحـولاً بنيويـاً في المجتمـع العراقـي بعـد عـام ٢٠٠٣، حيـث أدى ضعـف مؤسسـات الدولـة إلى إعـادة إحيـاء الأطـر التقليديـة وعـلى رأسـها العشـيرة، ويُفهـم مـن ذلـك أن العشـيرة لم تعـد مجـرد مكـوّن اجتماعـي، بـل تحولـت إلى فاعـل بديـل يمـارس أدواراً شـبه رسـمية في ضبـط السـلوك وحـل النزاعـات، كـما تكشـف الفقـرة عـن اختـلال في العلاقـة بـين الدولـة والمجتمـع، إذ تراجـع الاعتـماد عـلى القانـون لصالـح الأعـراف الاجتماعيـة. وتُظهـر أيضـاً أن هـذا التحـول لم يقتـصر عـلى الريـف، بـل امتـد إلى المـدن الكـبرى مثـل بغـداد، مـما يعكـس ظاهـرة (ترييـف المدينـة). وفي المجمـل، يـدل ذلـك عـلى أن التحـولات السياسـية غـير المسـتقرة تعـزز مـن عـودة البنـى التقليديـة على حسـاب الدولـة الحديثـة.. ومـع ذلـك، لا يمكـن النظـر إلى هـذه الظاهـرة بوصفهـا ظاهـرة سـلبية بالـضرورة، إذ يـرى بعـض الباحثـين أن انتقـال القيـم الريفيـة إلى المـدن قـد أسـهم أيضـاً في تعزيـز بعـض مظاهـر التضامـن الاجتماعـي والتكافـل بـين الأفـراد، ولا سـيما في البيئـات الحضريـة الفقـيرة التـي تعـاني مـن ضعـف الخدمـات أو محدوديـة المـوارد. ففـي مثـل هـذه الحـالات، تلعـب الروابـط القرابيـة والعشـائرية دوراً مهـماً في دعـم الأفـراد وتوفـير نـوع مـن الحمايـة الاجتماعيـة (عبـد الجبـار، فالـح ،(٢٠١٠)، العمامـة والأفنـدي، بـيروت: دار الجمـل، ص٦٠٣-٦٠٨).

وفي ضـوء مـا تقـدم، يمكـن القـول إن الظاهـرة الريفيـة في مدينـة بغـداد تمثـل نتيجـة طبيعيـة لعمليـة التحـضر غـير المتوازنـة التـي شـهدها المجتمـع

العراقي خلال العقود الماضية، فقد أدت الهجرات الريفية الواسعة إلى إدخال عناصر ثقافية واجتماعية جديدة إلى البيئة الحضرية، الأمر الذي أفضى إلى نشوء مجتمع حضري ذي خصائص مركّبة تجمع بين القيم التقليدية والحديثة في آن واحد، وعليه، فإن فهم تجليات الظاهرة الريفية في مدينة بغداد يعدّ أمراً ضرورياً لتحليل طبيعة التحولات الاجتماعية والسياسية التي يشهدها المجتمع العراقي المعاصر، إذ تكشف هذه الظاهرة عن طبيعة التفاعل بين الريف والمدينة، كما توضح كيف يمكن للبنى الاجتماعية التقليدية أن تستمر في التأثير حتى داخل الفضاءات الحضرية الحديثة.

المبحث الثالث: التأثيرات الثقافية على بروز الظاهرة الريفية في مدينة بغداد

تُعدّ العوامل الثقافية من أبرز المحددات التي أسهمت في بروز الظاهرة الريفية داخل مدينة بغداد، إذ لم يكن انتقال السكان من الريف إلى المدينة مجرد انتقال مكاني، بل كان انتقالاً لمنظومة متكاملة من القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية. وقد أدى هذا الانتقال إلى تفاعل مستمر بين الثقافة الريفية والثقافة الحضرية، الأمر الذي أسهم في تشكيل نمط اجتماعي وثقافي خاص داخل العاصمة العراقية، يجمع بين عناصر تقليدية وأخرى حضرية حديثة (الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ١٩٩٥، ص ١٤١). إن الثقافة الريفية في المجتمع العراقي تقوم على مجموعة من القيم الأساسية، مثل التضامن العشائري، والولاء للجماعة، واحترام الأعراف الاجتماعية، إضافة إلى مركزية العلاقات القرابية في تنظيم الحياة اليومية. وعندما انتقل سكان الريف إلى بغداد نتيجة الهجرة الداخلية، حملوا معهم هذه القيم التي استمرت في التأثير في سلوكهم الاجتماعي حتى داخل البيئة الحضرية. وقد أدى ذلك إلى بقاء العديد من أنماط التفكير والسلوك الريفي حاضرة في الحياة الاجتماعية داخل المدينة (الحيدري، ابراهيم، الشخصية العراقية، ٢٠١٧، ص ١٨٤). ويشير عالم الاجتماع علي الوردي إلى أن المجتمع العراقي يتميز بازدواجية واضحة في القيم والسلوكيات نتيجة التفاعل التاريخي بين البداوة والحضارة. ويرى أن الفرد العراقي غالباً ما يعيش حالة من التناقض بين قيم الريف أو البداوة التي تقوم

على العصبية والتضامن الجماعي، وبين قيم المدينة التي تقوم على التنظيم المؤسسي والعلاقات المدنية. وقد انعكست هذه الازدواجية بوضوح في المدن العراقية، ومنها بغداد، حيث يتداخل السلوك الحضري مع أنماط ثقافية تقليدية (الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ٢٠٠٥، ج١، ص ٢٣١). في حين هناك من رد على ذلك اذ وعلى الرغم ما اسماه الوردي بازدواجية القيم بين الريف والمدينة قائمة، إلا أن الوردي بالغ في تصويرها كتناقض حاد للفرد العراقي، إذ أظهرت الدراسات المعاصرة أن الأفراد غالباً ما يدمجون بين القيم التقليدية والحضرية بمرونة عملية، ما يشير إلى تكيف اجتماعي مستمر بدل صراع داخلي دائم.

عموما فان أبرز التأثيرات الثقافية التي ساعدت على بروز الظاهرة الريفية في بغداد استمرار دور العشيرة بوصفها إطاراً ثقافياً واجتماعياً مهماً. فالعشيرة لا تمثل مجرد رابطة نسب، بل تعد منظومة ثقافية قائمة على مجموعة من القيم مثل الشرف والكرامة والتضامن الاجتماعي. وقد ظل هذا الإطار الثقافي مؤثراً في حياة الكثير من سكان بغداد، ولا سيما أولئك الذين ينحدرون من أصول ريفية، حيث بقيت العلاقات العشائرية تلعب دوراً مهماً في تنظيم العلاقات الاجتماعية وحل النزاعات (الحيدري، ابراهيم، الشخصية العراقية، ٢٠١٧، ص ١٩٦).

كما أن العادات والتقاليد الاجتماعية المرتبطة بالبيئة الريفية أسهمت أيضاً في تعزيز حضور الظاهرة الريفية داخل المدينة. فالكثير من الممارسات الاجتماعية، مثل أنماط الضيافة، والاحتفال بالمناسبات الاجتماعية، وأشكال التضامن العائلي، تعكس جذوراً ثقافية ريفية واضحة. وقد استمرت هذه الممارسات داخل بعض الأحياء الشعبية في بغداد، حيث حافظ السكان على جزء كبير من هويتهم الثقافية الأصلية رغم انتقالهم إلى البيئة الحضرية (إبراهيم، ز. م. م، الموروثات البدوية والريفية ومشكلات التحضر: دراسة ميدانية — صان الحجر نموذجاً. مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق, ٤٦(٩٩)،٢٠٢١، ٢٦٧-٢٧١). ومن ناحية أخرى، لعبت اللغة واللهجة المحلية دوراً مهماً في نقل الثقافة الريفية إلى داخل المدينة. فقد حمل المهاجرون من المناطق الريفية لهجاتهم

الخاصة وتعبيراتهم الثقافية التي أصبحت جزءاً من الحياة اليومية في بعض أحياء بغداد. ومع مرور الوقت، ساهم هذا التفاعل اللغوي والثقافي في تشكيل أنماط جديدة من الثقافة الحضرية التي تجمع بين عناصر ريفية وأخرى مدينية (الوردي، طبيعة المجتمع العراقي، ص١١٨)، وهذا الحالة تشير بوضوح الى دور اللغة واللهجة بوصفهما حاملاً ثقافياً للهجرة الريفية إلى المدينة، إذ لا تقتصر عملية الانتقال على البعد الديمغرافي بل تمتد إلى البعد الرمزي والثقافي. فهي تشير إلى أن اللهجات المحلية تُعد أداة لنقل القيم والعادات، مما يسهم في إعادة تشكيل الفضاء الحضري ثقافياً. كما تكشف عن دينامية التفاعل بين الريفي والمديني، حيث لا يحدث إلغاء لأحدهما بل تداخل ينتج عنه نمط هجين. وتبرز الفقرة أيضاً أن هذا التفاعل اللغوي يعكس عملية تكيف اجتماعي تدريجية داخل المدينة. وفي المجمل، تؤكد أن التحولات اللغوية تعد مؤشراً على تحولات أعمق في البنية الاجتماعية والثقافية الحضرية.

كما أن التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدها العراق خلال العقود الأخيرة أسهمت في تعزيز بعض مظاهر الثقافة الريفية داخل المدن. فبعد عام ٢٠٠٣، شهدت بغداد عودة ملحوظة لدور الهويات المحلية والعشائرية في الحياة العامة، وهو ما أدى إلى تعزيز حضور بعض القيم الثقافية التقليدية داخل الفضاء الحضري، وقد ارتبط ذلك بضعف بعض مؤسسات الدولة في فترات معينة، الأمر الذي دفع الأفراد إلى الاعتماد على الأطر الاجتماعية التقليدية مثل العشيرة والجماعة المحلية بوصفها مصادر بديلة للأمن الاجتماعي والدعم الثقافي (الزهيري، فلاح خلف كاظم ، العشيرة واستراتيجية بناء الدولة المعاصرة في العراق ما بعد ٢٠٠٣، مجلة قضايا سياسية، العدد(٦٤) ، ٢٠٢١، ص٢٢٩-٢٣٢).

وفي الوقت ذاته، لا يمكن إغفال تأثير وسائل الإعلام والتعليم والمؤسسات الثقافية في إعادة تشكيل العلاقة بين الريف والمدينة داخل بغداد. فقد أسهمت هذه المؤسسات في نشر بعض القيم الحضرية الحديثة، مثل الفردية والتنظيم المؤسسي والانفتاح الثقافي، إلا أن تأثيرها ظل يتفاعل مع القيم التقليدية الموجودة في المجتمع، الأمر الذي أدى إلى ظهور

أنماط ثقافية مركبة تجمع بين الحداثة والتقليد (الحيدري، ابراهيم، الشخصية العراقية، ٢٠١٧، ص ٢٠٥). وعليه، يمكن القول إن بروز الظاهرة الريفية في مدينة بغداد لم يكن نتيجة عوامل اقتصادية أو ديموغرافية فحسب، بل كان أيضاً نتيجة تأثيرات ثقافية عميقة ارتبطت بانتقال منظومة القيم والعادات والتقاليد الريفية إلى البيئة الحضرية. وقد أدى هذا التفاعل الثقافي بين الريف والمدينة إلى تشكيل هوية اجتماعية وثقافية خاصة للمدينة، تعكس طبيعة المجتمع العراقي الذي يجمع بين عناصر تقليدية وحديثة في آن واحد وبالتالي فإن فهم التأثيرات الثقافية على بروز الظاهرة الريفية في بغداد يساعد في تفسير العديد من التحولات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع العراقي المعاصر، كما يوضح كيف يمكن للثقافة أن تلعب دوراً محورياً في إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية داخل المدن، خصوصاً في المجتمعات التي تمر بعمليات تحضر سريعة وغير متوازنة.

المبحث الرابع: التأثيرات الاجتماعية والسياسية على بروز الظاهرة الريفية في مدينة بغداد

تمثل التأثيرات الاجتماعية والسياسية أحد العوامل الرئيسة التي أسهمت في بروز الظاهرة الريفية داخل مدينة بغداد، إذ إن التحولات التي شهدها المجتمع العراقي خلال العقود الماضية أدت إلى تداخل واضح بين البنية الاجتماعية الريفية والبنية الحضرية. وقد ارتبط ذلك بعمليات الهجرة الداخلية الواسعة من الريف إلى المدينة، وما رافقها من انتقال للأنماط الاجتماعية والعلاقات التقليدية التي كانت سائدة في المجتمع الريفي إلى داخل الفضاء الحضري (الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ٢٠٠٥، ج١، ص ٢١٨). لقد شهدت بغداد منذ منتصف القرن العشرين توسعاً سكانياً كبيراً نتيجة تدفق أعداد متزايدة من سكان الريف إليها بحثاً عن فرص العمل والخدمات والتعليم. وقد أدى هذا التدفق السكاني إلى تغيير التركيبة الاجتماعية للمدينة، إذ أصبحت تضم شرائح اجتماعية متعددة ذات خلفيات ريفية متنوعة. ومع انتقال هذه الفئات إلى البيئة الحضرية، حملت معها منظومة من العلاقات الاجتماعية التقليدية التي تقوم على الروابط القرابية والعشائرية،

الأمر الذي ساهم في ظهور مظاهر اجتماعية ريفية داخل المدينة (الحيدري، ابراهيم، الشخصية العراقية، ٢٠١٧، ص ١٧٣). ومن أبرز التأثيرات الاجتماعية التي ساعدت على بروز الظاهرة الريفية في بغداد استمرار دور العائلة الممتدة والعشيرة في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. ففي المجتمع الريفي، تمثل العائلة والعشيرة الإطار الاجتماعي الأساسي الذي يحدد مكانة الفرد ويوفر له الحماية والدعم الاجتماعي. وعندما انتقل سكان الريف إلى بغداد، حافظوا على هذه الروابط الاجتماعية واستمروا في الاعتماد عليها في حياتهم اليومية، سواء في مجال التعاون الاجتماعي أو في حل النزاعات (مصطفى، ماجد علي ، القرابة والسلطة في المجتمع العراقي: دراسة في الأنثروبولوجيا السياسية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد (٩٩)).

كما أن نمط العلاقات الاجتماعية في بعض الأحياء الشعبية في بغداد يعكس إلى حد كبير طبيعة العلاقات الاجتماعية في المجتمع الريفي. ففي هذه الأحياء، تقوم العلاقات بين السكان على أساس التضامن الاجتماعي القوي والتعاون بين الجيران، وهو نمط اجتماعي يشبه العلاقات القائمة في القرى والأرياف حيث تتسم الحياة الاجتماعية بدرجة عالية من التماسك والترابط بين أفراد المجتمع (المشكور، قاسم، (٢٠١٦)، اسطورة المدن، ص٢٨٦-٢٨٩).

ومن العوامل الاجتماعية الأخرى التي أسهمت في بروز الظاهرة الريفية داخل المدينة استمرار تأثير الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي تعود جذورها إلى البيئة الريفية. فالكثير من سكان بغداد، ولا سيما أولئك الذين ينحدرون من أصول ريفية، ما زالوا يلتزمون ببعض الأعراف الاجتماعية المرتبطة بالعلاقات العائلية والعشائرية، مثل آليات حل النزاعات الاجتماعية أو تنظيم العلاقات الأسرية. وقد أدى ذلك إلى استمرار حضور بعض الأنماط الاجتماعية التقليدية داخل المدينة (Fajir Jodah Alwan Alneamy, The 'ruralization' of the city: with special reference to Baghdad, ٢٠٢١). كما أن طبيعة التكوين الاجتماعي للأحياء الجديدة التي نشأت نتيجة التوسع العمراني في بغداد ساعدت أيضاً على تعزيز هذه الظاهرة. فقد تشكلت العديد

من الأحياء السكنية نتيجة تجمع سكان قادمين من مناطق ريفية متقاربة، الأمر الذي ساعد على إعادة إنتاج نمط اجتماعي يشبه المجتمع الريفي داخل المدينة. ففي مثل هذه الأحياء، غالباً ما يحتفظ السكان بروابطهم الاجتماعية السابقة ويعيدون بناء شبكاتهم الاجتماعية التقليدية داخل البيئة الحضرية (fajir Jodah Alwan Alneamy, *The 'ruralization' of the city: with special reference to Baghdad*, ٢٠٢١).

ويشير علي الوردي إلى أن هذه الظاهرة تعكس طبيعة المجتمع العراقي الذي يتميز بتداخل واضح بين القيم الريفية والحضرية، حيث لم تؤدِّ عملية التحضر إلى إلغاء البنية الاجتماعية التقليدية، بل أدت إلى إعادة تشكيلها في إطار حضري جديد. ويرى الوردي أن الفرد العراقي غالباً ما يعيش بين نمطين من العلاقات الاجتماعية؛ أحدهما تقليدي قائم على العصبية والانتماء للجماعة، والآخر حديث قائم على التنظيم المؤسسي والعلاقات المدنية (الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ١٩٩٥، ص ١٥٢).

كما أن التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدها العراق في العقود الأخيرة كان لها تأثير واضح في تعزيز بعض المظاهر الاجتماعية المرتبطة بالظاهرة الريفية داخل المدن. ففي ظل التحديات الأمنية والاجتماعية التي مر بها البلد، لجأ العديد من الأفراد إلى تعزيز روابطهم العائلية والعشائرية بوصفها مصدراً للأمان الاجتماعي والدعم الجماعي. وقد أدى ذلك إلى استمرار تأثير هذه الروابط الاجتماعية داخل البيئة الحضرية في بغداد (الزهيري، العشيرة واستراتيجية بناء الدولة المعاصرة في العراق ما بعد ٢٠٠٣، مجلة قضايا سياسية، العدد ٦٤، ٢٠٢١). ومن ناحية أخرى، أسهمت الظروف الاقتصادية والاجتماعية لبعض الشرائح السكانية في تعزيز هذه الظاهرة أيضاً، إذ إن ضعف بعض المؤسسات الاجتماعية أو محدودية فرص العمل والخدمات في بعض المناطق الحضرية دفع السكان إلى الاعتماد بدرجة أكبر على شبكاتهم الاجتماعية التقليدية، مثل العائلة والعشيرة والجماعة المحلية. وقد شكلت هذه الشبكات نوعاً من التضامن الاجتماعي الذي يعوض جزئياً عن ضعف البنى المؤسسية الحديثة (Dr. Thaer Raheem

Kadhim, Social Capital and its Role in Community Affiliation (A Field Social Study in Al-Diwaniyah Governorate) (٢٠٢٦)).
وبذلك فان التأثيرات السياسية في النظام السياسي والاجتماعي العراقي لما بعد ٢٠٠٣؛ فقد أعاد إحياء وتفعيل معادلة النظام الاجتماعي القديم في الجنوب حسب نقاد، مجدداً الحلف التقليدي بين شيوخ العشائر والمؤسسة الدينية، فبات المعممون وشيوخ العشائر هم الأكثر تأثيراً ونفوذاً في الشارع، وتوازياً مع ذلك، تضاعف النفور من الزراعة، بعدما أسفرت سيطرة بعض السياسيين على الملف النفطي في ضخ مزيد من مهاجرين الريف إلى المدن الكبرى، وبات حلم الشاب المهاجر الحصول على تعيين حكومي عبر بوابة تلك القوى المؤثرة، وهو ما يغنيه عن أرض تذبل من الجفاف، وبذل التعب في زراعة الأرض وفلاحتها، مقابل أقل مقدار من الجهد في الوظائف الحكومية(الجبوي، العشيرة تُبايع».. الهجرة من الريف إلى السياسة https://jummar.media/٤٩٠٢)، ووفقا لتقديرات وزارة التخطيط، فقد بلغ عدد سكان العراق في العام ٢٠٢٣ أكثر من ٤٣ مليونا و٣٢٤ ألف نسمة، ٦٩,٩ بالمئة منهم يسكنون الحواضر، بينما بلغت نسبة قاطني الأرياف ٣١,١ بالمئة، وحسب التعداد السكاني لسنة ٢٠٢٥ بلغ عدد السكان في العراق حوالي ٤٦,١١٨,٧٩٣ نسمة (بما في ذلك العراقيين والأجانب المقيمين) (وزير التخطيط يعلن النتائج النهائية للتعداد السكاني، (٢٠٢٥، https://almasra.iq/١٦٥١٤١/?utm_source=chatgpt.com)
وحسب التقديرات الرسمية أظهرت أن عدد سكان المناطق العشوائية في عموم العراق بلغ أكثر من ٤ ملايين نسمة، يقطنون ٥ آلاف تجمع، بلغت حصة بغداد منها نحو ألف تجمع ما يعرف بالسكن العشوائي "حواسم"، وشهدت الأعوام الأخيرة أيضا شهد كذلك ارتفاعاً في معدلات جفاف الأهوار جنوبي العراق، مما دفع الآلاف ممن تبقوا فيها للنزوح إلى المدن المجاورة والتهيؤ للاستقرار فيها، ومن البديهي أن يتراجع حضور الدولة بين معظم هذه التجمعات، ويبرز مقابل ذلك تأثير الروابط العشائرية وأحكامها العرفية، التي تتحكم في أرقام بشرية "يسيل لها لعاب" كثير من الساسة

الحريصين على حصاد أصوات أكثر لقوائمهم، الأمر الذي جعل العلاقة بين السياسي وشيخ العشيرة في تلك المناطق حيوية وفاعلة باستمرار، ورغم أن الدولة حاولت تجريم بعض الممارسات العشائرية كـ (الدكة) و(النهوة) وزواج (الكصة بكصة) لم يكن بالمستوى المطلوب، ما دامت هناك توظيف وحاجة أصوات تملأ صناديق الاقتراع في المواسم الانتخابية، ويحدث كل ذلك فيما يستمر تقطيع الأراضي الزراعية في حزام بغداد وأطرافها، وتحويلها إلى مناطق سكنية، فضلاً عن ارتفاع نسب الأمية والبطالة، وعجز الحكومة عن استيعاب الأعداد الهائلة من المواطنين ضمن برامجها التعليمية والصحية والخدمية لذا، فإن من المستبعد أن يتراجع حضور العشيرة بتمظهراتها الاجتماعية والثقافية في المشهد السياسي، وربما تشهد السنوات القادمة محق مزيد من معالم المجتمعات الحضرية في مراكز المدن، بعد أن أصبح الانتماء للعشيرة عنواناً للقوة والسطوة والنفوذ لدى معظم العراقيين، ورافعاً لاحتمالات الوصول للكراسي ومغانمها.(الجبوي، العشيرة تُبايع».. الهجرة من الريف إلى السياسة (https://jummar.media/٢٠٩٤)

وعليه، يمكن القول إن التأثيرات الاجتماعية لعبت دوراً مهماً في بروز الظاهرة الريفية في مدينة بغداد، حيث أسهمت الهجرة الداخلية، واستمرار الروابط القرابية والعشائرية، وبقاء الأعراف الاجتماعية التقليدية في تشكيل نمط اجتماعي خاص داخل المدينة يجمع بين الخصائص الريفية والحضرية في آن واحد. كما أن هذه الظاهرة تعكس طبيعة التحولات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع العراقي، حيث تتفاعل البنى التقليدية مع متطلبات الحياة الحضرية الحديثة لتنتج أنماطاً اجتماعية مركبة، وإن دراسة التأثيرات الاجتماعية للظاهرة الريفية في بغداد تسهم في فهم طبيعة التغير الاجتماعي في العراق، كما تساعد في تحليل العلاقة المعقدة بين الريف والمدينة، وهي علاقة لا تقوم على الانفصال التام بقدر ما تقوم على التفاعل والتداخل المستمر بين منظومتين اجتماعيتين مختلفتين.

الخاتمة والنتائج

تُظهر هذه الدراسة أن ظاهرة التداخل بين الريف والمدينة في المجتمع العراقي، ولا سيما في مدينة بغداد، تمثل إحدى السمات الأساسية للتحولات الاجتماعية التي شهدها العراق خلال العقود الماضية. فقد أدت التغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي رافقت نشوء الدولة الحديثة وتسارع عملية التحضر إلى انتقال أعداد كبيرة من السكان من المناطق الريفية إلى المدن، الأمر الذي أسهم في انتقال منظومة القيم والعادات والتقاليد الريفية إلى البيئة الحضرية. وقد انعكس هذا التفاعل في ظهور ما يمكن تسميته بظاهرة (ترييف المدينة)، حيث تداخلت القيم الريفية مع أنماط الحياة الحضرية لتشكل نمطاً اجتماعياً مركباً يجمع بين عناصر التقليد والحداثة.

وقد أظهرت الدراسة أن مدينة بغداد تمثل نموذجاً واضحاً لهذه الظاهرة، إذ شهدت العاصمة توسعاً سكانياً كبيراً نتيجة موجات الهجرة الداخلية من الريف، مما أدى إلى تغيرات ملحوظة في بنيتها الاجتماعية والثقافية. فقد حمل المهاجرون معهم أنماطاً من العلاقات الاجتماعية التقليدية القائمة على الروابط القرابية والعشائرية، واستمرت هذه العلاقات في التأثير في الحياة الاجتماعية داخل المدينة، حتى في ظل التحضر والتوسع العمراني.

كما كشفت الدراسة أن العوامل الثقافية والاجتماعية لعبت دوراً محورياً في تعزيز حضور الظاهرة الريفية داخل بغداد. فقد أسهمت القيم الثقافية المرتبطة بالتضامن العشائري، واحترام الأعراف الاجتماعية، واستمرار العادات والتقاليد الريفية في ترسيخ بعض الممارسات الاجتماعية التقليدية داخل البيئة الحضرية. وفي الوقت ذاته، ساعدت الروابط الاجتماعية القوية، مثل العائلة الممتدة والعشيرة، على توفير نوع من التضامن الاجتماعي الذي ساهم في استقرار بعض المجتمعات الحضرية ذات الأصول الريفية.

وفي ضوء ما تقدم، يمكن استخلاص عدد من النتائج الرئيسة لهذه الدراسة. أولاً، إن ظاهرة ترييف المدن في العراق ليست ظاهرة طارئة، بل هي نتيجة طبيعية للتحولات الديموغرافية والاجتماعية التي رافقت عملية التحضر خلال القرن العشرين. ثانياً، إن الهجرة

الريفية إلى مدينة بغداد لعبت دوراً أساسياً في انتقال القيم والعلاقات الاجتماعية التقليدية إلى داخل البيئة الحضرية. ثالثاً، إن العوامل الثقافية والاجتماعية، مثل استمرار الروابط العشائرية والعائلية، أسهمت في إعادة إنتاج بعض الأنماط الريفية داخل المدينة. رابعاً، إن التفاعل بين القيم الريفية والحضرية أدى إلى ظهور بنية اجتماعية مركبة تعكس طبيعة المجتمع العراقي الذي يجمع بين عناصر التقليد والحداثة، وبناءً على ذلك، يمكن القول إن فهم ظاهرة التداخل بين الريف والمدينة يعد أمراً ضرورياً لتحليل التحولات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع العراقي المعاصر. كما أن دراسة هذه الظاهرة تساعد في تفسير العديد من المظاهر الاجتماعية والثقافية التي تميز الحياة الحضرية في بغداد، وتبرز أهمية وضع سياسات تنموية واجتماعية متوازنة تسهم في تعزيز الاندماج الاجتماعي وتحقيق توازن أفضل بين متطلبات التحضر والحفاظ على الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمجتمع.

قائمة المصادر والمراجع (APA)

اولاً: المصادر العربية

١.بطاطو، حنا، (١٩٩٣)، الطبقات الاجتماعية في العراق، ترجمة عفيف الرزاز، ج٢، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.

٢.الحيدري، إبراهيم، الشخصية العراقية، ٢٠١٧، بيروت: دار التنوير.

٣.الوردي، علي. (١٩٩٥). دراسة في طبيعة المجتمع العراقي. بغداد: دار كوفان.

٤.الوردي، علي. (٢٠٠٥). لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. بغداد: دار كوفان.

٥.عقراوي، متي، (١٩٣٦) العراق الحديث: تحليل لاحوال العراق ومشاكله السياسية والاقتصادية والصحية والاجتماعية والتربوية، ترجمة مجيد خدوري، بغداد، مطبعة العهد.

٦.العزاوي، عباس، مج٢، بيروت، مكتبة الحضارة.

٧.عبد الجبار، فالح ،(٢٠١٠)، العمامة والأفندي، بيروت: دار الجمل.

٨.عبد الجبار، فالح،(٢٠٢١)، البنية الاجتماعية الطبقية في العراق وتحولاتها منذ عام ٢٠٠٣، منشورات الثقافة الجديدة.

٩.المشكور، قاسم، (٢٠١٦)، اسطورة المدن: مدينة الثورة/الصدر حالياً، بغداد، دار ومكتبة عدنان.

١٠.هاشم، زينب، (٢٠١٤). دراسات في المجتمع العراقي.

ثانياً: الأبحاث والدراسات

١١.إبراهيم، ز. م. م. (٢٠٢١). الموروثات

البدوية والريفية ومشكلات التحضر: دراسة ميدانية — صان الحجر نموذجاً. مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق, ٤٦(٩٩).
١٢.الجواد، فاجر صيّد علوان. (٢٠٢٠). السلطة العشائرية في العراق المعاصر: دراسة اجتماعية تحليلية. مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد.
١٣.عبد الجبار، فالح. (٢٠٢١). البنية الاجتماعية الطبقية في العراق وتحولاتها منذ عام ٢٠٠٣. منشورات الثقافة الجديدة، ص ٣٥.
١٤.الزهيري، فلاح خلف كاظم. (٢٠٢١). العشيرة واستراتيجية بناء الدولة المعاصرة في العراق ما بعد ٢٠٠٣. مجلة قضايا سياسية، العدد ٦٤, ٢٢٩-٢٣٢.
١٥.مصطفى، ماجد علي. (بدون تاريخ). القرابة والسلطة في المجتمع العراقي: دراسة في الأنثروبولوجيا السياسية. مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٩٩.

ثالثاً: الانترنيت

١٦.الجبوي، العشيرة تُبايع».. الهجرة من الريف إلى السياسة -https://jummar.me ٤٩٠٢/dia.
١٧.عزيز، (بدون تاريخ). المجتمع العراقي من ٢٠٠٣ إلى ٢٠٢٠: مقاربة سوسيولوجية في ضوء الواقع السياسي والاقتصادي والسكاني والاجتماعي. استرجع من https://jgu. html.١٤١٠٤٦_garmian.edu.krd/article
١٨.داود، قاسم محمد. (بدون تاريخ). المجتمع العراقي بين التحضر والبداوة. استرجع من https://kitabat.com
١٩. الشبوط، محمد عبد الجبار. (بدون تاريخ). النزعة العشائرية في العراق: جذورها وأثرها على مشروع الدولة الحديثة. استرجع من https://annabaa. org/arabic/authorsarticles
٢٠.وزير التخطيط يعلن النتائج النهائية للتعداد السكاني، (٢٠٢٥)، https://almasra. utm_source=chatgpt.com?/١٦٥١٤١/iq

رابعاً: المصادر الاجنبية

21. Alneamy, F. J. (2021). The 'ruralization' of the city: With special reference to Baghdad (Doctoral thesis, University of Hull). Hull Repository. https://hull-repository.worktribe.com/output/4212632/the-ruralization-of-the-city-with-special-reference-to-baghdad
22. koucher, A. (1999). State and society: The question of agrarian change in Iraq 1921-1991 (Nijmegen Studies in Development and Cultural Change, Vol. 29). Saarbrücken, Germany: Verlag für Entwicklungspolitik. ISBN 3-88156-716-
23. Kadhim, T. R. (2026). Social Capital and its Role in Community Affiliation: A Field Social Study in Al-Diwaniyah Governorate.

First: Arabic Sources

1- Batatu, Hanna, (1993), Social Classes in Iraq, translated by Afif al-Razzaz, Vol. 2, Beirut, Arab Research Founda-

tion.
2- Al-Haidari, Ibrahim, The Iraqi Personality, 2017, Beirut: Dar al-Tanweer.
3- Al-Wardi, Ali, (1995). A Study of the Nature of Iraqi Society. Baghdad: Dar Kofan.
4- Al-Wardi, Ali, (2005). Social Glimpses from the History of Modern Iraq. Baghdad: Dar Kofan.
5- Aqrawi, Matta, (1936), Modern Iraq: An Analysis of Iraq's Conditions and its Political, Economic, Health, Social, and Educational Problems, translated by Majid Khadduri, Baghdad, Al-Ahd Press.
6- Al-Azzawi, Abbas, Vol. 2, Beirut, Al-Hadara Library.
7- Abdul-Jabbar, Falih, (2010), The Turban and the Effendi, Beirut: Dar al-Jama
8- Abdul-Jabbar, Falih (2021). The Class-Based Social Structure in Iraq and its Transformations since 2003. New Culture Publications.
9- Al-Mashkour, Qasim (2016). The Myth of Cities: Al-Thawra City/Al-Sadr City (now). Baghdad. Adnan Publishing House and Library.
10- Hashim, Zainab (2014). Studies in Iraqi Society.

حولية المنتدى